



العدد: ٦٥

التاريخ: ٤ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي لليونسكو ١٨١٢-٠٥١٢
رقم شهادة معامل التأثير ٢٠١٨-٢٦٥ لسنة ٣٠١٧

قبول بحث للنشر

أ.د. - كامل عبد ربه حمدان المحترم
م.م - وصال قاسم عباس المحترمة

تدارست هيئة التحرير بحثكم الموسوم بـ

آليات الدفاع النفسي في شعر اللصوص حتى نهاية القرن الثالث الهجري
(الإسقاط والتكوين العكسي نموذجاً)

وبعد الاطلاع على آراء الخبراء ، قررت هيئة التحرير :

صالح للنشر

صالح للنشر بعد إجراء التعديلات المرافقة والنظر في نشره
الاعتذار عن نشره كونه غير صالح للنشر

الأستاذ الدكتور

فاضل جابر ضاحي

رئيس هيئة التحرير

٢٠١٨ / ٤ / ٤

نسخة منه الى / أمانة التحرير مع الأوليات

الأستاذ الدكتور

فاهم نعمة الياسري

آليات الدفاع النفسي في شعر اللصوص حتى نهاية القرن الثالث الهجري

(الإسقاط والتكوين العكسي أنموذجاً)

(بحث مستل من أطروحة دكتوراه)

م.م. وصال قاسم غباش

أ.د. كامل عبد ربه حمدان

كلية التربية/جامعة القادسية

كلية التربية/جامعة القادسية

الملخص:

يتناول البحث آليات الدفاع النفسي في شعر اللصوص وذلك نتيجة كثرة الأزمات التي يواجهها الشاعر اللص مما تدفعه إلى اللجوء إلى هذه الآليات للتخلص من مشاعر التوتر والاضطراب وللحفاظ على توازنها . علماً أن هذه الآليات لا تحل المشكلة بصورة دائمة بل تسعى إلى تحقيق شيء من الراحة الوقتية التي تتسيه آلامه ومشاكله ، ولكثرة هذه الآليات تم اختيار اثنتين منها وهما الإسقاط والتكوين العكسي .

Mechanisms of psychological defense in the poetry of thieves until the end of the third century AH

(Projection and reverse configuration as a model)

:Summary

The research deals with the mechanisms of psychological defense in the hair of thieves as a result of the many crises faced by the thief poet, which leads to resort to these mechanisms to get rid of the feelings of tension and turmoil and to maintain balance. These mechanisms do not solve the problem permanently but seek to achieve some of the temporary rest Forgetting his pains and problems, and for the abundance of these mechanisms were chosen .two of them are projection and reverse configuration

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين أشرف الخلق محمد (ﷺ)،
وعلى آله الطيبين الطاهرين. أما بعد

نتيجة لطبيعة الحياة التي يعيشها الشاعر اللص تكثر عنده الأزمات والاضطرابات النفسية التي يعاني منها مثل الخوف والقلق والتوتر والاعترا ب وغير ذلك ،فيلجأ الشاعر اللص إلى استعمال آليات دفاع نفسي تساعد على التخلص أو التخفيف من هذه الأزمات التي يواجهها .

تناول هذا البحث التعريف بمفهوم آليات الدفاع النفسي وأهميتها واستعمل آليتين منها هما الإسقاط والتكوين العكسي ولاحظ مدى لجوء الشاعر اللص إليها في أشعاره

مدخل

تعد آليات الدفاع النفسي من الآليات المهمة التي تختص بالأفراد حين تعرضهم لمواقف معينة تدفعهم إلى استعمالها ،فلا بدّ لنا من التعريف بمفهومها وخصوصاً من وجهة نظر علماء النفس .

الآليات الدفاعية من المفاهيم الأساسية في منهج التحليل النفسي ومن أوائل من أشاروا إلى هذا المصطلح فرويد، وهذه الآليات اللاشعورية تستعملها (الأنا) في دفاعها عن متطلبات (الهو)، إذ تقوم بضبط الغرائز بما يتلائم مع الواقع، ومن جانب آخر تعمل على تحقيق الاتزان بين الهو وبين الأنا الأعلى الذي يمثل المجتمع الواقعي، بما يحمله من تقاليد وأعراف يلتزم بها الفرد، إذن وظيفة الأنا إشباع رغبات الهو تحت رقابة الأنا الأعلى^(١).

والآليات الدفاعية أساليب سلوكية توافقية لا شعورية تعرف أحياناً بميكانيزمات التوافق، أو حيل الدفاع النفسي، أو ردود الفعل الدفاعية يستخدمها الفرد عند فشله في تحقيق أهدافه، بفعل عوامل الإحباط والصراع هرباً من المواقف المؤلمة للعوامل التي يعجز عن مواجهتها بأساليب مباشرة يسوغ فشله ويجعله فشلاً منطقياً أمام نفسه، وأمام الآخرين فيتخلص من التوتر، ويتحرر من القلق والشعور بالذنب ويشعر بالارتياح والتوافق مع الموقف^(٢)، وقد تسمى خافضات القلق؛ لأنها تدفع عن الأنا التوتر والقلق، وتقيه مشاعر العجز والفشل والخوف واستصغار الذات^(٣).

إن لجوء الذات إلى استعمال آليات الدفاع مردّه إلى عاملين أساسيين هما: التهديد الخارجي، والتهديد الداخلي، فعلى سبيل المثال: خطر حقيقي يواجه الفرد على المستوى البيولوجي أو البقاء الطبيعي أو على المستوى السيكولوجي كالتحقير فإنه يستثير القلق، ولذلك يلجأ الفرد إلى إنكار الواقع، وفيه يرفض الفرد الواقع المر الذي يواجهه، وهو هنا لجأ إلى الآليات الدفاعية^(٤)، فوسائل الدفاع لا تغير من الشروط الموضوعية للخطر، وإنما تغير من طريقة تفكير الفرد حول هذه الشروط وطبيعة إدراكه لها .

أما التهديد الداخلي للذات فيأتي نتيجة النزوات والأفكار والمشاعر والرغبات التي تظهر لدى الفرد ولا تناسب معايير الواقع الاجتماعي الذي يعيشه فيلجأ الفرد إلى الوسائل الدفاعية^(٥).

إن التوافق الناتج عن هذه الحيل أو الأساليب توافق مؤقت؛ لأنها لا تزيل الإحباط، ولا تحل الصراع، وإنما تقوم على إشباع حاجات ثانوية ناتجة عنهما، أي أن هذه الحيل النفسية لا تعالج أسباب الإحباط، أو الصراع وإنما تعالج الأعراض الناجمة عنهما، فهي أساليب تؤدي إلى توافق مؤقت^(٦).

وبناءً على ما تقدم نجد أن آليات الدفاع هي ذرائع تقي الفرد من الآلام التي تأتيه من جسمه، ومن نفسه، ومن الناس، ومن ثم فهي تعينه على تحمل أعباء الحياة وصدماتها، وتبهره شيئاً من الراحة والهدوء، ولو بصورة وقتية وهمية. وهي تشترك جميعها في عنصر واحد هو إخفاء الصراع أو الهرب منه بدلاً من مواجهته، فيمكن القول: إن وظيفة هذه الحيل هي وقاية الأنا وحمايته مما يحتمل أن يخل توازنه ويؤدي به إلى التوتر والقلق والاضطراب .

والشعراء اللصوص هم من عانوا من ظروف الحياة وحالات الإحباط والصراع والقلق التي تؤثر على ذات الشاعر اللص لأنه ((لا يمكنه أن يتعايش مع هذه الصورة المبخسة وفاقة القيمة عن ذاته، والتي تكاد تتحدر من حالات الهدر الشديدة إلى مستوى القيمة المضادة))^(٧) ، لذلك لابد أن يلجأ لهذه الآليات كنوع من الدفاع عن الذات، أو لتبرير أخطائه، أو التخفيف من المعاناة والقلق والتوتر الذي يشعر به، وهذه لا تحل الأزمة النفسية التي يعانيها بقدر ما تخفف القلق وحصول الذات على الراحة الوقتية؛ لكي لا يختل التوازن هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد تساعده على الهرب من الواقع المؤلم الذي يعانيه الشاعر اللص.

الإسقاط

وهو من الآليات الدفاعية الخداعية التي تلجأ إليها الذات لظروف مختلفة ويعرف بأنه وسيلة ((لا شعورية تتلخص في أن ينسب الشخص عيوبه ومناقضه ورغباته المستكرهة ومخاوفه المكبوتة التي لا يعترف بها إلى غيره من الناس أو الأشياء أو الأقدار أو سوء الطالع، وذلك تنزيهاً لنفسه وتخفيفاً مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب))^(٨)، والإسقاط يقتضي نفي التهمة عن الذات وإلصاقها بالآخر، وتلجأ إليه الشخصية المهددة بالتفكك وتمكن هذه الوسيلة صاحبها من أن يرد على الآخرين مشاعره المؤذية أو الممنوعة التي لا يستطيع الاعتراف بها^(٩)، فعن طريق الإسقاط نقوم بإلصاق الخصائص التي لا نحبها بالناس الآخرين، فالبخيل يتهم الناس بالبخل، والجبان يتهم الآخرين بالجبن^(١٠)، وبالأسلوب نفسه يمكن للمهمل أو

اللس أن يتهم الآخر بالإهمال، واللصوصية كما يمكن للكذاب أن يتهم غيره بالكذب فتخفف معاناته^(١١).

ويعمل هذا الأسلوب للتخفيف من معاناة غير معروفة المصدر بالنسبة للشخص، لأنه آلية تعمل بطريقة لاشعورية فقد يشعر الشخص ببعض العيوب والدوافع المستهجنة والأفكار غير المقبولة اجتماعياً، ويرفض وجودها في نفسه ويتبرأ منها بإسقاطها على الآخرين^(١٢).

وفي الإسقاط تتحول كل معتقدات الفرد وتصورات وأفكاره الخاصة إلى الوسط من الأفراد والناس الآخرين، وتحميلهم صورة أفكاره، وجعلهم مسؤولين عن صيرورة ومآل هذه المعتقدات، وتحويل الوسط الاجتماعي إلى مرآة تتحمل كل صور الانعكاس الذاتي للفرد وكأنها مرئياتهم وصورهم^(١٣).

وهذه الآلية قوية وخطيرة وتعمل بكفاءة عالية لخفض القلق على حساب تشويه الواقع^(١٤)، وفيه تتخفف الذات من مشاعرها ودوافعها البغيضة، وتتفادى وتتجنب الرفض وعقاب الآخرين، لأنها تلومهم قبل لوم نفسها، فهو على أساس ذلك محاولة لتشويه الحقيقة^(١٥).

فالإسقاط يمكن أن يكون ((اعترافات أكثر من أن تكون اتهامات))^(١٦)، وبالنتيجة هو هجوم واعتداء وقذف، وفيه ((تتخلص الأنا من الظواهر النفسية غير المرغوب فيها والتي سببت لها الآلام))^(١٧).

يقول عروة بن الورد^(١٨):

لعل انطلاقي في البلاد وبغيتي،

وشدي حيازيم المطية بالرحل

سيدفعني، يوماً، إلى رب هجمة،

يدافع عنها بالعقوق وبالبلخ

الشاعر عروة في هذه الأبيات يسقط الصفات السيئة على الأشخاص الذين يغزوهم ، ويحاول النيل منهم لكي يجعل ما يقوم به عملاً مبرراً صالحاً، فالمترفين عنده ((لا يكتفون بتكديس الأموال بل يستخفون ببؤس الناس ويخلون على المحرومين بما في حوزتهم من أقوات ولذا فقد استحقوا السلب والقتل))^(١٩) ، فوصفهم بالبخل واستخفافهم بالفقراء هو ما جعلهم هدفاً لغاراته وغزواته، أي أنه من خلال إسقاط هذه الصفات يحاول إقناع المجتمع بأن ما يقوم به عملاً يهدف من ورائه مساعدة المحتاج والفقير.

يقول الأعلام الهذلي^(٢٠):

ر ، وَقُلْتُ: يَوْمٌ حَقٌّ ذَائِبٌ	حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ
ز، إِلَى أَنَاسٍ بِالْمَنَاقِبِ	رَفَعْتُ عَيْنِي الْحَبَا
ء وَحَاجَةً الشُّعْثِ النَّوَالِبِ	وَذَكَرْتُ أَهْلِي بِالْعَرَا
د اللَّامِ حِينَ إِلَى الْأَقَارِبِ	الْمُصْرِمِينَ مِنَ التَّلَا

الشاعر في الأبيات يبين أثر الفاقة والفقر التي أصابت أطفاله ، فالشاعر قام بإسقاط المعاناة وألم الجوع والفاقة والعدم التي يعاني منها على أبنائه، وجعلهم مبرراً لسلوكه ولخصوصيته، وبذلك عمد إلى آلية الإسقاط للتخفيف من ألم الفقر الذي يشعر به نفسه وإسقاطه على أبنائه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يحاول إقناع الآخر وهو المجتمع الذي يعيش فيه من خلال طلب نوالهم ليس من أجله هو ولكن من أجل أبنائه لذلك أراد الشاعر من خلال هذه الآلية الخداعية إقناع الذات من جهة وإقناع الآخر من جهة أخرى .

ويقول فضالة بن شريك^(٢١):

قِرَاكَ إِذَا مَا بَتَّ فِي دَارِ عَاصِمٍ	أَلَا أَيُّهَا الْبَاغِي الْقَرَى لَسْتُ وَاجِدًا
بَطِينًا وَأَمْسَى ضَيْفُهُ غَيْرَ نَائِمٍ	إِذَا جِئْتُهُ تَبْغِي الْقَرَى بَاتَ نَائِمًا

الشاعر هنا ينتقد البخيل الذي كان هدفاً للصوص وقد ركز الشاعر على شخصية هذا البخيل التي فضلت العيش لنفسها، فرسم لها صورة البدين الذي لا يهتم بضيفه محاولاً إسقاط صفات البخل والبدانة التي تدل على الراحة وعدم الاهتمام بالآخر الفقير أو الضيف.

ويقول طهمان بن عمرو الكلابي^(٢٢):

بَنُو قُرَيْظٍ إِذَا شَابَتْ نَوَاصِيهَا	يَا بَاغِي اللُّؤْمِ إِنْ اللُّؤْمَ مَخْتَدُهُ
وَلَا يُعَوِّجُ عَنْ لُؤْمٍ عَذَارِيهَا	لَا يُسْلِمُونَ وَلَا تَلْقَى لَهُمْ سَلَامًا
تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا تَبْلَى مَخَازِيهَا	تَبْلَى عِظَامُ بَنِي سَكْنٍ إِذَا دُفِنَتْ
وَقُطِّعَتْ عِنْدَ بَابِ الْمَلِكِ أَيْدِيهَا	السَّارِقُونَ إِذَا مَا لَزَبَتْ أَزَمَتْ

الشاعر في هذه الأبيات استعمل آلية الإسقاط ، إذ وجه غضبه إلى قوم المهجو ونعتهم بكثير من الصفات التي تدل على اللؤم والذل، وأراد أن يبعد عن نفسه السرقة من خلال إسقاطها على قوم المهجو ، وذلك لكي يخفف من وطأة هذه الصفة السيئة على نفسه ويبعد عن نفسه لوم الآخرين، إضافة إلى إقناع ذاته بأن الآخر هو المذنب .

ويقول القتال الكلابي^(٢٣):

يا أَيُّهَا الْعَفِجُ السَّمِينُ وَقَوْمُهُ هَزَلَى تُجَرَّرُهُمْ ضِبَاعُ جَعَارِ
أَطْعِمَ - وَلَسَتْ بِفَاعِلٍ - وَلِتَعْلَمَنَّ أَنَّ الطَّعَامَ يَحُورُ شَرَّ مَحَارِ

الشاعر في هذه الأبيات يظهر الآخر بديناً، فهو إذ صوره مثيراً للاشمئزاز محركاً للأحقاد، فهو يستشعر في هذا البدين حالة التنعم التي حرم منها هو وأصحابه، فيحاول الشاعر إسقاط الصفات السيئة على الآخر؛ لكي يظهر صورته بمظهر المظلوم الذي يحق له الاقتصاص من هذا البدين وسرقته؛ لأنه أحق منه بها.

ويقول أبو الشمقمق^(٢٤):

وَقَدْ دَنَا الْفَطْرُ وَصَبْيَانُنَا لَيْسُوا بِذِي تَمَرٍ وَلَا أَرْزِ
وَذَاكَ أَنَّ الدَّهْرَ عَادَاهُمْ عداوة الشاهين للوز

آلية الإسقاط واضحة في البيتين أعلاه، إذ برأ الشاعر نفسه وأخرجها من المأزق الذي يمر فيه وهذا المأزق هو الفقر، وبعد أن اطمأن من إخراج نفسه من دائرة الاتهام وضع شيئاً آخر إلى جانب الدهر وكأنه صار هو الوحيد البعيد عن الاتهام فالمعتدي الأساس الرئيس هو الدهر والمعتدي عليه الأبناء وهو المنتقم الإنساني

فالشاعر يسقط فقره وعجزه وينسبه إلى الدهر في محاولة منه للتوصل عن مسؤوليته، وعدم سعيه للتخلص من هذا الفقر، كما يسقط مسألة الفقر على أبنائه ويبعده عن نفسه، في محاولة لاستعطاف الآخرين، كما يجعل ذلك سبباً لحاجته إلى المال والطعام ليس لنفسه وإنما لأبنائه، فهنا كان إسقاط الفقر على الأبناء من جهة وهو يبرر هذا الفقر ويبعده أن يكون هو السبب فيه أو تقصيره، وإنما يرجعه إلى الدهر الذي عادى أبنائه ولم يرحمهم ونتيجة لعجزهم وخوفهم من السلطة اسقطوا عجزهم وفقرهم على الدهر أو الحظ ومشية الله ولم يصرحوا بالدولة التي كانت هي السبب في الفوارق المادية بين أبناء الشعب، كما كانت مسؤولة عن فقر هؤلاء الناس .

ويقول أبو الينبغي^(٢٥):

صَبْرًا عَلَى الذُّلِّ وَالصَّغَارِ يَا خَالِقَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
كَمْ مِنْ حِمَارٍ عَلَى جَوَادٍ وَمِنْ جَوَادٍ بِلا حِمَارٍ!

الشاعر في هذا الخطاب يجعل فقره بسبب مشيئة الله سبحانه وتعالى إذ يجعله مسؤولاً عن الذل الذي يشعر به، من التفاوت الطبقي، وعدم تمتع الشاعر بالمكانة التي يرى نفسه أنه يستحقها، فيما الآخرين ينالونها ويحرم هو منها، لكي يقلل اللوم الذي يشعر به نتيجة الذل والهوان في طلب المال، فضلاً عن ذلك أنه يبعد عن نفسه ضعف الهمة

الصعاليك كانت رؤيتهم للغني مشوبة بالحق والاحتقار، يظهر ذلك من خلال التعنيف الذي مارسوه على الثري، وما تكشف عنه صورة الغني الظاهرة والمضمرة في شعرهم، من لؤمه وبخله وهيئته المثيرة للسخرية، وكأنما أرادوا أن يبرهنوا على أن المال لا يصنع رجالاً، وإن هؤلاء الأغنياء وإن تذرثوا بأموالهم فهم عراة من الفعل الإنساني الخلاق .

ويقول الحمودي^(٢٦):

تسامى الرجال على خيلهم ورجلي من بينهم حافيه
فإن كنت حـامـلنا ربنا وإلا فأزجل بني الزانيه

يسقط الشاعر مسألة الغنى والفقر وينسبها إلى الحظ، فهذه الأبيات تدل على الطبقة التي يعاني منها الشاعر، فهو لا يرى غنى بعض الرجال فقط، وإنما يشعر باستعلائهم وتفوقهم، إذ إن ركوب الخيل من وجهة نظره ليس لمجرد حمل هؤلاء الرجال وللسير بهم، وإنما تدل على شرف الراكب ومذلة وهوان الراجل، وهذا الأمر جعله يربط بين الغنى والحظ، وهو في هذه الأبيات يوجه خطابه إلى الله عز وجل، فيحمله مسؤولية التفاوت الطبقي، إذ يسقط مسألة فقره وعجزه على الحظ وعلى الله سبحانه وتعالى ويبعدها عن نفسه في محاولة لإقناع ذاته والآخرين بأنه لا يد له في هذا الفقر والذل، وإنما هي مسألة حظ ومشية الله لكي يخفف من وطأة المعاناة التي يشعر بها وعدم قدرته على التخلص منها .

ويقول أبو فرعون الساسي^(٢٧)

وصبية مثل فراخ الدُر سود الوجوه كسواد القِدر
جاء الشتاء وهم بشرٍ بغير قمصٍ وبغير أرز
حتى إذا لاح عمود الفجر وجاءني الصبح غدوت أسري
وبعضهم ملتصقٌ بصدري وبعضهم مُنجَرٌ بججري

الشاعر في هذه الأبيات أسقط صفات الفقر والمعاناة على أطفاله، فرسم لهم صورة مأساوية تدل على ما وصل إليه فقرهم، ونتيجة عجزه حاول الهرب من الواقع الأليم الذي يعيشه،

فعمد إلى الفكاهة والضحك، محاولاً تسليط صورة الفقر على الأبناء استعطافاً للآخرين، وتخفيفاً من الألم النفسي الذي يشعر به ولا يستطيع مواجهته، فلذلك لجأ إلى الإسقاط، لأن أسلوب السخرية قد يكون هروباً من واقع أليم، إذ ((إن الضحك والبكاء مظهران لباعث واحد هو الرفض والاحتجاج))^(٢٨).

التكوين العكسي

وهي واحدة من الحيل الدفاعية، إذ أنها محاولة لا شعورية غير مقصودة من الفرد للتمويه على دافع بغيض بأن يظهر سلوكه على عكس ما يضمّر في أعماق نفسه^(٢٩)، كالإسراف في العطاء لتغطية نزعة البخل التي تؤدي إلى قلق زائد^(٣٠)، والكراهية الشديدة تظهر في شكل حب مبالغ فيه، أي انقلاب سلوكيات الفرد من حالة إلى أخرى، ومثال ذلك أن يظهر الفرد الاهتمام والذي يخفي وراءه القسوة والاحتقار، أو إظهار الحب ويخفي وراءه العدوان^(٣١).

والفرد من خلال هذه العملية يهدف إلى خداع الذات وخداع الآخرين في تحقيق ما يبيده من سلوك هو نقيض لما في نفسه ومخالف له، فهو يبدي أحاسيس مغايرة لمشاعره الحقيقية، وتساعد هذه الوسيلة الفرد كثيراً في تجنب القلق والابتعاد عن مصادر الضغط فضلاً عن الابتعاد عن المواجهة الفعلية.

وهذه الآلية يتم اللجوء إليها عندما لا يريد الشخص الاعتراف بالحقيقة، فيكون التعبير عن الدوافع المستكرهة في شكل معاكس، فإذا كان الفرد يشعر بكراهية لشخص ما فقد يظهر تجاهه مشاعر الود والحب .

يقول عروة بن الورد^(٣٢) :

دعيني للغنى أسعى فإنّي	رأيتُ الناسَ شرُّهمَ الفقيرُ
وأبعدُهم وأهولُهمَ عليهم ،	وإن أمسى له حسبٌ وخيرُ
ويقصيه الندى، وتزدريه	حليثُهُ، وينهره الصغيرُ
ويلقى ذو الغنى ، وله جلالٌ،	يكاد فؤاد صاحبه يطير

إن خروج عروة بن الورد من أجل الحصول على الغنى، وهذا واضح في البيت الأول، لكننا ومن خلال الاطلاع على شعر عروة بن الورد، يبحث عن شيء آخر ليس الغنى، فهو يبحث عن نظام اجتماعي جديد يلغي الفوارق التي يعاني منها الفقراء، ويرأب الصدع الموجود بين طبقة الأغنياء والفقراء، فخروجه هذا كان هدفه بناء مجتمع تسود فيه العدالة الاجتماعية وفق

أسس وقواعد متينة، فكان خروجه وسيلة لغاية أكبر وأعظم، والشاعر من خلال استعمال هذه الآلية أراد أن يظهر أهدافه.

ويقول عروة بن الورد أيضاً^(٣٣):

وما بي من عارٍ إخال علمته،	سوى أن أخوالي، إذا نسبوا، نهذ
إذا ما أردت المجد قصّر مجدهم،	فأعيا علي أن يقاربني المجد
فياليتهم لم يضربوا في ضربة،	وأني عبء فيهم، وأبي عبء
ثعالب في الحـرب ، فإن تبخ،	وتنفرج الجلي، فإنهم الأسد

يعاني الشاعر من قضية النسب من جهة الأم، فأم الشاعر لم تكن أمة سوداء، ولكنها من قبيلة نهد، وهي لا تقارب صراحة نسب أبيه من خلال هذه الأزمة النفسية نتيجة النسب تمنى أن يكون عبداً وابن عبد بدل هذا النسب المشين بالنسبة إليه، فلجأ الشاعر إلى آلية التكوين العكسي بدل أن يتمنى النسب الصريح، وهذا في رأيه يخفف من حدة الألم الذي يعانيه من هذه المشكلة التي سببت له الخلاف الدائم مع قبيلته التي كانت تعيره بهذا النسب على الرغم من أفعاله الحميدة التي اشتهر بها، وشجاعته الفائقة التي امتاز بها، فضلاً عن ذلك أنه يحاول مواجهة المشكلة التي يعاني منها، ولا بد من القول: إن هذا النسب هو الذي دفعه إلى مهاجمة أخواله بطريقة عنيفة وتعريتهم من كل فضل وبما تحمله هذه الأبيات يؤكد مدى تأهل فكرة الأصالة عنده التي يرى أنها يجب أن تكون متعادلة بين الأب والأم فلا يكون هنالك ما يعيب أحد الطرفين، ووجهة نظره قد تكون مختلفة بعض الشيء عن الإنسان الجاهلي بصورة عامة الذي يحاول أن يخفي معايبه، وخاصة قضية النسب التي لا يخفى أهميتها وأثرها عند الإنسان الجاهلي، متمنياً العبودية التي يبتعد عنها الناس ويبغضونها، لرغبته في التخلص من مشكلة نسبه الذي يعاني منه.

ويحاول الشنفرى من خلال أبيات شعرية أن يتخذ آلية التكوين العكسي حيلة دفاعية هجومية ضد القبيلة حين يطالب قاتليه أن لا يقبروه ويلقوا جثته في العراء إكراماً لمن أتخذهم قوماً له بعد أن لاقى من قومه البشر الاضطهاد والمظلومية وهو بذلك يسلب من قبيلته القيم الإنسانية؛ لأنهم لا يستحقونها فيقول^(٣٤):

فَلا تَقْبِرُونِي إِنَّ قَبْرِي مُحَرَّمٌ	عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ
إِذَا احْتَمَلُوا رَأْسِي وَفِي الرُّأْسِ أَكْثَرِي	وَعُودِرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى ثَمَّ سَائِرِي

هُنَالِكَ لَا أَزْجُو حَيَاةَ تَسْرُنِي

سمير الليالي مُبْسَلًا بِالْجَرَائِرِ

ظاهر النص يوحي بأنه لا يريد قبراً وأنه يفضل العراء لكن باطنه يكشف التعسف الذي اتخذته القبيلة والمظلومية التي لحقت به متخذاً من التكوين العكسي آلية دفاعية لإعادة التوازن النفسي.

ويقول أبو خراش^(٣٥) :

وإني لأُثْوِي الجوعَ حتى يَمْلَأَنِي

فَيَذْهَبَ لَمْ يُدْنِسْ ثِيَابِي وَلَا جُرْمِي

وَأَغْتَبِقُ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ فَأَنْتَهِي

إِذَا الزَّادُ أَمْسَى لِلْمُزْلَجِ ذَا طَعْمٍ

أُرْدُ شَجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَغْلَمِيئُهُ

وَأُوْثِرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكَ بِالطُّعْمِ

رسم الشاعر صورة لمعاناته من الجوع، ولكن نفسه الأبية ترفض الخضوع والاستسلام حتى أمام الجوع الذي تملكه، فنجد أنه يلجأ إلى آلية التكوين العكسي، جاعلاً الجوع هو الذي يستسلم أمامه ويذل، وليس العكس، مستعملاً حيلة التكوين العكسي في محاولة منه للصبر على الجوع وتحمل الآمه ومعاناته وإقناع النفس بذلك، ومن ناحية أخرى يعمل على خداع الآخر والمتمثل بزوجته التي تلومه على فقره وجوعه، فالجوع لم يجلب له العار، وبذلك جعل الصبر على الجوع مفخرة له، وهذا ما جعل موطن الضعف يتحول إلى موطن قوة.

وهذا العدیل بن الفریخ عمد إلى رفع مكانة الحجاج، ووصفه بصفات التقدير والعدل، إذ يقول^(٣٦):

فَلَوْ كُنْتُ فِي سَلَمَى أَجَا وَشِعَابِهَا

لَكَانَ لِحَجَّاجٍ عَلَيَّ دَائِلُ

بَنَى قُبَّةَ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَأَنَّمَا

هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولُ

إِذَا جَارَ حُكْمُ النَّاسِ أَلْجَأَ حُكْمُهُ

إِلَى اللَّهِ قَاضٍ بِالْكِتَابِ عَقُولُ

فَأَنْتَ كَسِيفِ اللَّهِ بِالْأَرْضِ خَالِدُ

تَصُولُ بِعَوْنِ اللَّهِ حِينَ تَصُولُ

أظهر الشاعر في هذه الأبيات الاحترام والإجلال للحجاج بن يوسف، فهو يخفي الحقد والخوف الدفين الذي يعاني منه، وهو يعلم ظلم الحجاج وقدرته على البطش به ومعاقبته، ولذلك نجده يلجأ إلى رد فعل عكسي، يقوم على إظهار التودد والتوقير للحجاج في محاولة منه لتخفيف الصراع الذي تعاني منه نفسه نتيجة خوفه واضطرابه، لذلك لجأ إلى حيلة التكوين العكسي؛ لكي

يخفف التوتر والخوف ، وهو بهذا يلجأ إلى الاعتذار وهو أيضاً آلية دفاعية يحاول من خلالها جعل الحجاج يغفر له ويسامحه أو على الأقل يخفف عقوبته .

ويقول عبد الله بن الحجاج في موقف مشابه للموقف السابق^(٣٧):

أَبْلَغُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي	مِمَّا لَقِيتُ مِنَ الْحَوَادِثِ مُوجَعُ
مُنَعَ الْقَرَارُ فَجِئْتُ نَحْوَكَ هَارِباً	جَيْشٌ يَجْرُ وَمِقْنَبٌ يَتَلَمَّعُ
إِنَّ الْبِلَادَ عَلَيَّ وَهِيَ عَرِيضَةٌ	وَعَرَّتْ مَذَاهِبُهَا وَسُدَّ الْمَطْلَعُ
إِنَّ الَّذِي يَعْصِيكَ مِنَّا بَعْدَهَا	مَنْ دِينِهِ وَحَيَاتِهِ مُتَوَدِّعُ

لجأ الشاعر في أبياته إلى الاعتذار، ولكنه يخفي خوفاً وحقدًا، وقد استعمل آلية التكوين العكسي في محاولة منه لتخفيف الضغط على نفسه مما يعانيه من الخوف، فنلاحظ أنه حاول أن يجد التخفيف من الخوف والرعب الذي يشعر بهما من السلطة إلى اللجوء إلى السلطة بدل الهرب والاختفاء منها، وهو تكوين عكسي تلجأ إليه الأنا لتخفيف التوتر الذي تعانيه، فنجد أن الشاعر قد ضاقت عليه البلاد على الرغم من سعتها فهو يقصد الضيق النفسي الذي يعانيه نتيجة الخوف والإحساس بأنه مطارد، فهذا الخوف دفعه إلى قناعة تخالف مواقفه السابقة من السلطة، إذ يرى خروجه عن الخلافة هو خروج عن الدين .

ويقول السمهري العكلي^(٣٨):

أَلَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ عُكْلٍ قَبِيلَتِي	وَلَمْ أَدْرِ مَا شُبَّانُ عُكْلٍ وَشِيبُهَا
قَبِيلَةٌ لَا يَفْرَعُ الْبَابَ وَفُذْهَا	بَخِيرٍ وَلَا يَأْتِي السَّدَادَ خَطِيبُهَا
فَإِنْ تَكُ عُكْلٌ سَرَّهَا مَا أَصَابَنِي	فَقَدْ كُنْتُ مُصْبُوباً عَلَى مَنْ يُرِيبُهَا

استعمل الشاعر آلية التكوين العكسي في تصوير موقف قبيلته التي خذلتها أمام رغبة الدولة في معاقبته ولم تحرك ساكناً لإنقاذه، فهو لا يكف عن هجائها صراحة، وبذلك يحاول إزالة كل مميزات هذه القبيلة، فكان أمله أن تقف إلى جانبه في أزمتها مع السلطة، ولكن موقف القبيلة في الجهة المضادة إذ أنكرته، والشاعر في لجوئه إلى التكوين العكسي في البيت الثالث من هذا النص أن القبيلة لجأت إلى التكوين العكسي، وذلك لأنه كان دائم الخدمة والمساعدة لهم، إذ يرى أنه إن سرَّ قبيلته ما نزل به من أسرٍ وتهديد فقد كان دائماً المدافع عنها والزاد لكيد أعدائها، فلو كانت في موقف كهذا لم يتخل عنها أو يخذلها، ولكن موقف القبيلة كان مخالفاً لتوقعاته ورغبته في نيل المساعدة والعون في محنته هذه، فالشاعر عانى أزمة نفسية حقيقية بين موقفه من القبيلة التي كان يمد يد العون لها وبين موقفها منه وخذلانها له في أزمتها وسجنه لدى السلطة، وذلك

الموقف جعله يعاني من أزمة حقيقية قائمة على ثنائية السلب والإيجاب ،لأن الموقف المتوقع منها كان مختلفا عن الموقف الحقيقي لأنها قطعت أواصر القرابة والصلة به .

وقريب من هذه الأبيات قول الخطيم المحرزي^(٣٩):

بِنِي مُحَرِّزٍ هَلْ فِيكُمْ ابْنُ حَمِيَّةٍ	يَقُومُ وَلَوْ كَانَ الْقِيَامُ عَلَى جَمَرٍ
بِمَا يُؤْمِنُ الْمَوْلَى وَمَا يَرَأُبُ النَّأْيُ	وَحَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي
كَمَا أَنَا لَوْ كَانَ الْمُشَرُّدُ مِنْكُمْ	لَأُبْلَيْتُ نُجْحاً أَوْ لَقِيتُ عَلَى عُذْرٍ
لَأَعْطَيْتُ مِنْ مَالِي وَأَهْلِي رَهِيَّةً	وَلَا ضَاقَ بِالْإِصْلَاحِ مَالِي وَلَا صَدْرِي

استعمال آلية التكوين العكسي في عرض موقف قبيلته منه وتخاذلها عن مساعدته في حين إنه لم يقصر في تقديم يد العون سواء أكان المادي أو المعنوي عن طيب خاطر، ولكن موقف القبيلة المتخاذل منه قد سبب له أزمة نفسية دفعته إلى مناجاة هذه القبيلة بأسلوب الاستعطاف، فهو يصور نفسيته التي تعاني من الألم فلجأ إلى آلية التكوين العكسي، وذلك لكي يقنع نفسه أنه لم يقصر في تقديم العون إلى قبيلته فيلقي اللوم على القبيلة نتيجة موقفها المضاد له من وجهة نظره.

ويقول الأحيمر السعدي^(٤٠):

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى	أَجْرُ حَبلاً لَيْسَ فِيهِ بَعِيرٌ
وَأَنْ أَسْأَلَ الْمَرْءَ اللَّئِيمَ بَعِيرَهُ	وَبُغْرَانُ رَبِّي فِي الْبِلَادِ كَثِيرٌ

الشاعر في هذه الأبيات يستخدم آلية التكوين العكسي في محاولة منه لجعل اللصوصية مهنة مشروعة لا تتعارض مع تقاليد الدين والأخلاق، فالشاعر يستحي من الله سبحانه وتعالى لأنه قد تأخر في السرقة، ويستحي من الله أن يسأل الآخرين، فهو يلجأ إلى السرقة من أجل هذه الغاية، فهو جعلها مهنة شرعية أفضل من الفقر أو مسألة الآخرين والاستجداء، مع أن الإسلام وضع حدوداً للسرقة كما يرى أن الغنيمة التي يغتنمها من السرقة هي لله وليس ملكاً لأحد، لذلك له الحق أن يأخذ منها ما يشاء، فالشاعر هنا لجأ إلى هذه الآلية الخداعية أولاً لإقناع الأنا بأن ما يعمل هو عمل صالح بدل الاستجداء، ومن ناحية استعمالها لإقناع المجتمع ، فالسرقة تعد ((عيباً عند العرب لأنها تكون دون علم المسروق وبمغافلته والمغافلة والاستيلاء على شيء دون علم صاحبه عيب عندهم وفيه جبن ونذالة))^(٤١) ، ومن خلال عكس المفاهيم وجعلها تتناسب مع وجهة نظره يرى نفسه على حق.

يقول أحد الطفيليين^(٤٢):

نَحْنُ قَوْمٌ إِنْ جَفَا النَّاسُ سَوْفَ نَصْلُحُ مِنْ جَفَانَا
مَا نُبَالِي صَاحِبُ الدَّاءِ رِئْسِيْنَا أَوْ دَعَانَا

الشاعر يلجأ إلى آلية التكوين العكسي كرد فعل على سلوك الناس، وذلك من أجل تحقيق غايته وهي الحصول على الطعام، إذ نجد هذا المتطفل يقابل جفا مجتمعه بالوصل، فكان ذلك سبباً في حصوله على مبتغاه على حساب كرامته وقتله لشعوره، غير مبالٍ بسوء استقبال الناس له ورفضه من قبل المجتمع، فإنه ألمات إحساسه أو دفنه؛ لكي يستطيع التخلص من الصراع الذاتي بين الأنا التي تريد الحصول على الطعام أو الوصول إلى الغاية والأنا العليا وهي المجتمع بما فيه من ظلم واحتقار وإذلال لتلك الأنا .

الهوامش:

(١) ينظر: مقدمة في التحليل النفسي: ٤٥-٤٦ .

(٢) ينظر : الشخصية والصحة النفسية : ٦١ .

(٣) ينظر: أصول علم النفس: ٤٧٦ .

(٤) ينظر : مبادئ علم النفس: ٢٧٣ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه: ٢٧٣ .

(٦) ينظر : الشخصية والصحة النفسية : ٦١ .

(٧) الإنسان المهدور: ٢٩٩ .

(٨) أصول علم النفس: ٤٧٨ .

(٩) ينظر : علم النفس الأدبي (منهج في قراءة الأعماق): ١١٦ .

(١٠) ينظر : مبادئ علم النفس : ٢٧٨ .

(١١) ينظر : الشخصية والصحة النفسية: ٦٤ .

(١٢) ينظر : المصدر نفسه: ٦٤ .

- (١٣) ينظر: نقد الشعر في المنظور النفسي: ٢٩ .
- (١٤) ينظر: مبادئ علم النفس: ٢٧٨.
- (١٥) ينظر: أساسيات في علم النفس: ٣٩٤.
- (١٦) أصول علم النفس: ٤٧٨.
- (١٧) مقدمة في التحليل النفسي: ٤٩ .
- (١٨) ديوان عروة بن الورد: ٩٠ .
- (١٩) ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي: ٢٧٩.
- (٢٠) شرح أشعار الهذليين: ٣١٥/١ .
- (٢١) ديوان بني أسد في الجاهلية والإسلام: ٣٥٥/٢.
- (٢٢) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي: ٤٤.
- (٢٣) ديوان القتال الكلابي: ٦٩.
- (٢٤) ديوان أبي الشمقمق: ١٢٧-١٢٨
- (٢٥) شعر الموسوسين في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ٥٣٠.
- (٢٦) ديوان الحمدي: ٨٨.
- (٢٧) طبقات الشعراء: ٣٧٦ .
- (٢٨) شعر المكفوفين في العصر العباسي: ٢٤١.
- (٢٩) ينظر: أصول علم النفس: ٤٧٩ .
- (٣٠) ينظر: مبادئ علم النفس: ٢٧٨.
- (٣١) ينظر: الشخصية بناؤها تكوينها أنماطها: ١١٤ .
- (٣٢) ديوان عروة بن الورد: ٧٩ .
- (٣٣) المصدر نفسه: ٥٦ .
- (٣٤) ديوان الشنفرى: ٤٧.
- (٣٥) شرح ديوان الهذليين: ١٢٠٠-١١٩٩/٣ .

(٣٦) شعراء أمويون: ٣٠٤/١.

(٣٧) الأغاني: ١٧٨/١٣.

(٣٨) شعراء أمويون: ١٤١/١-١٤٢.

(٣٩) شعراء أمويون: ٢٦٠-٢٦١.

(٤٠) أشعار اللصوص وأخبارهم: مج ١/ج ٩٧.

(٤١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٩٩/٥-١٠٠.

(٤٢) التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم: ١٣٥.

الخاتمة

لا بد من وقفة قصيرة لمعرفة أهم نتائج البحث:

- اختلاف حياة الشاعر اللص عن حياة غيره من الشعراء مما زاد من الأزمات التي يعاني منها .
- عدم قدرة الذات على التحمل قد دفعها إلى اتخاذ آليات دفاع نفسي من أجل الاحتفاظ بشيء من التوازن النفسي .
- إن هذه الوسائل لا تحل المشكلة النفسية بصورة دائمة بل تسعى إلى تحقيق شيء من الراحة الوقتية التي تنسيه آلامه ومشاكله .

المصادر والمراجع

- أساسيات في علم النفس ، د. جنان سعيد الرحو، مطبعة الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- أشعار اللصوص وأخبارهم، جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي، دار الحضارة الجديدة ، بيروت، ط١٩٩٣م.
- أصول علم النفس ، د. أحمد عزت الراجح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ط٧، ١٩٦٨م.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، دار الكتب المصرية، ١٩٩٣م.

- الإنسان المهدور ، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر ، المغرب ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م.

- التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادير كلامهم وأشعارهم ، أبو بكر احمد بن الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، د. ت.

- ديوان أبي الشمقمق ، دراسة وتحقيق كارين صادر ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م

- ديوان بني أسد (أشعار الجاهليين والمخضرمين) ، جمع وتحقيق ودراسة د. محمد علي دقة ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩ .

- ديوان الشنفرى ، إعداد وتقديم طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م.

- ديوان طهمان بن عمرو الكلابي بشرح أبي سعيد السكري ، تحقيق محمد جبار المعبيد ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٨٦ م.

- ديوان عروة بن الورد شرح ابن السكيت ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، مطابع وزارة الثقافة والرشاد القومي ، دمشق .

- ديوان القتال الكلابي ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافي ، بيروت ، ١٩٨٩ م.

- الشخصية بناؤها ، تكوينها ، أنماطها ، اضطرابها ، د. مأمون صالح ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ٢٠١١ م.

- الشخصية والصحة النفسية ، د. صالح حسن الداهري ، ود. ناظم هاشم العبيدي ، مؤسسة حماده ودار الكندي للنشر ، أريد ، الأردن ، ط ١ ، ١٩٩٩ م.

- شرح أشعار الهذليين ، صنعة أبي سعيد السكري ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مراجعة ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة

- شعر المكفوفين في العصر العباسي ، عدنان عبيد العلي ، دار أسامة ، عمان ، ١٩٩٩ م.

- شعراء أمويون القسم الأول ، د. نوري حمودي القيسي ، طبع بمطابع مؤسسة الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٧٦ م.

- طبقات الشعراء ، ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار المعارف ، مصر .

- ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، أحمد الخليل، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٩م.
- علم النفس الأدبي (منهج سيكولوجي في قراءة الأعماق)، د. أنور عبد الحميد الموسى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م.
- مبادئ علم النفس، د. عبد الرحمن عدس، ود. نايفة قطامي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ٢٠٠٢م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط١، ١٩٩٣م.
- مقدمة في التحليل النفسي، د. كمال وهبي، ود. كمال أبو شهده، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- نقد الشعر في المنظور النفسي، د. ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩م.

الأطاريح والرسائل

- شعر الموسوسين في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري (جمع وتحقيق ودراسة)، أطروحة دكتوراه، علي كاظم علي المدني، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١١م.

البحوث والدوريات

- ديوان الحمدي، جمع وتحقيق احمد النجدي، مجلة المورد، العدد الثالث، ١٩٧٣م.